﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين خُسرانِ المنكرينَ، وكونِ الافتراءِ والتَّكذيبِ بالآياتِ سببين له

لمّا حكمَ اللّهُ تعالى على أولئك المنكرين بالخسرانِ في الآية الأولى؛ بيَّن في هذه الآية سببَ ذلك الخسرانِ، وهو أمران: أحدُهما: أن يفتريَ على الله كذبًا، والآخرُ من أسباب خسرانهم: تكذيبُهم بآياتِ اللّه[1] الكونيَّةِ والشَّرعيَّةِ، وقَدْحُهُم في نبوَّته ﷺ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: الافْتِراءُ: الكذب، والجمع: فِرًى، يُقالُ: افترى يفتري افتراءً، أي: كَذَب، وقيل: الافتراءُ: الكذبُ العظيم، وقيل: الكذبُ المتعلِّق بالأعراض. ويأتي الافتراءُ بمعنى: البُهتان والظُّلم، وأصله منَ الفَرْي، وهو: القطعُ والشَّقُّ، يُقالُ: أفرَى الذِّئبُ بطنَ الشَّاة، يُفري فَريًا، أي: شقَّه، ومنه الفراءُ وهو الجلد؛ لأنَّه يُقطع، ويأتي الفَرْي بمعنى: الصُّنْع والاختلاق، وسُمّيَ الكذب: فريةً وافتراءً؛ لأنَّ المفتري يقتطع الكلامَ اقتطاعًا من تلقاءِ نفسه، ويقطعُ، ويفسدُ في عِرْضِ غيره[2].

2) ﴿كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ﴾: الكذبُ: الإخبارُ بخلاف الواقع، وضدُّ الكذب: الصِّدق، ويُطلقُ الكذبُ صفةً للخبر الَّذي بخلاف الواقع، وضدُّه الحقيقة. ومن معاني الكذب أيضًا: الجُحودُ، والافتراء، والزَّيف، والخِداع، والخطأ[3]، وقد شنَّع اللّه بالكذب، وجعل الكاذبَ

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/501، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/172.
(2) ابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (فرا).
(3) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (كذب).

أسوأَ النّاس عاقبةً، وجعل مصيرَه إلى الخسران، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس: 69]. ولفظا (كَذَبَ) و(كَذَّبَ) من هذا الباب، قال أبو حيّان: "قيل: هما بمعنًى واحدٍ نحو كثر وأكثر، وقيل: بينهما فرقٌ، حكى الكسائيُّ أنَّ العرب تقول: (كذَّبتُ الرَّجل)، إذا نسبتَ إليه الكذب، وأكذبتُه إذا نسبتَ الكذبَ إلى ما جاء به، دون أن تنسبه إليه، وتقول العرب أيضًا: "أكذبتُ الرَّجلَ؛ إذا وجدتَه كذّابًا، كما تقول: أحمدتُ الرَّجل؛ إذا وجدتَه محمودًا، فعلى القول بالفرقِ يكون معنى التَّخفيف: لا يجدونك كاذبًا، أو لا ينسبون الكذبَ إليك، وعلى معنى التَّشديد يكون إمّا خبرًا محضًا عن عدم تكذيبهم إيّاه... وإمّا أن يكون نفي التَّكذيب لانتفاءِ ما يترتَّب عليه من المضارِّ"[1].

3) ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: الفَلْحُ: الشَّقُّ، وقيل: الحديدُ بالحديد يُفلَحُ، أي: يُشَقُّ، والفلّاح: الأكّار لذلك. والفَلاحُ: الظَّفَر وإدراك بُغْيَةٍ، وذلك ضَرْبان: دنيويٌّ وأخرويٌّ، فالدُّنيويُّ: الظَّفر بالسَّعادات الَّتي تطيب بها حياة الدُّنيا، وهو البقاءُ والغِنى والعزُّ، وفلاحٌ أخرويٌّ: وذلك أربعةُ أشياء: بقاءٌ بلا فناءٍ، وغِنًى بلا فقرٍ، وعزٌّ بلا ذلٍّ، وعِلمٌ بلا جهلٍ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لا أظلمَ ممَّن يفتري على اللهِ الكذبَ، أو يكذِّب بالدِّين الحقِّ

لا أحدَ أظلمُ من شخصٍ افترى على الله كذبًا، واختَلَق بُهتانًا، حيث قال: إنَّ لله شريكًا، وله ولدٌ، أو كذَّب بِحُجَجِه وبراهينه الَّتي أنزلها على رسوله، وبآياته الكونيَّة والشَّرعيَّة الَّتي تدلُّ على وحدانيَّته ﷻ؛ فهو الحقيقُ بالعبادة، ولا يُشْرَكُ معه آلهةٌ أخرى، ومَن أشركَ؛ فهو ظالمٌ، ولا فلاح له في الدُّنيا ولا في الآخرة[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/488، والنّيسابوريّ، إيجاز البيان: 1/292.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فلح).
(3) حجازيّ، التّفسير الواضح: 7/67.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ عطفِ قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ على ما قبلَها:

أعظمُ الظُّلم افتراءُ الكذبِ على الله

هذه الجملةُ معطوفةٌ على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ وذلك لشدَّةِ الاتِّصال بينهما، حيثُ ذُكِرَ في الآية السّابقة الحُكْمُ بالخسرانِ على المنكِرينَ، وفي هذه الآيةِ بيانُ أسبابِ ذلك الحكم.

فائدةُ العدولِ منَ النَّفي إلى الاستفهامِ في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾:

السِّياق القرآنيُّ يريدُ إرادةً مقتنعةً، لا موافقةً منتزَعةً

تظهرُ فائدةُ العدولِ عنِ النَّفي إلى الاستفهام في إيقاعِ المخاطَب، واستدراجِهِ نحو الاقتناع والإقرارِ بما جاء في مضمونِ الاستفهام، وأيضًا يحملُ الخصمَ على الإقرارِ بهذا النَّفي، أي: أنَّه يدفعهُ إلى الإقرارِ بما يتضمَّنهُ تركيبُ الاستفهام، بخلاف مجرَّدِ النَّفي؛ فهو يزيد منَ الخصومةِ الواقعةِ أساسًا، ذلك أنَّ في النَّفي دحضًا للرَّأي المُخالف والرَّدِّ عليه، والقرآن الكريم عمومًا، لم يأتِ لدعم الخصومات، وتضخيم الخلافاتِ، بل جاء لاحتواءِ المخالفين، وتغيير مواقفهم، وكسبِ تأييدهم، والسَّعي إلى إقناعهم.

ومعنى الاستفهام هنا: النَّفيُ، أي: لا أحدَ أشدُّ وأعظمُ ظلمًا منَ الَّذي كذَّب بآياتِ اللهِ الَّتي بلَغَتْ أعلى غاياتِ العظمة[1]؛ بهذه الصّيغة البليغة، فقد نفى ﷻ أن يكون أحدٌ أشدَّ ظلمًا لنفسه، من هذا الَّذي يتقوَّل على الله الكذبَ؛ ليصدَّ النّاسَ عن دين الله بجهلهِ وسَفَهِه[2]، ولا شكَّ أنَّ النَّفي بهذه الصّيغة أبلغُ منَ التَّصريح به، خاصَّة أنَّ الآية - كما يظهر منَ السّياق - جاءَت لمخاطبة المكذِّبين على الله، وهي أعلى درجاتِ الظُّلم، وفي هذا الإقرارِ إلزامٌ لهم بقبول الحجَّة من مجرَّد النَّفي، وردِّ الرَّأي المُخالف[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/258.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 11/296.
(3) المحاقريّ، بلاغة الحجاج في سورة الأنعام، ص: 152.

سرُّ التَّعبيرِ بـ(أفعل) التَّفضيلِ في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾:

أشـدُّ الـظَّـالمين ظـلـمًـا مـن اكـتـسـب مـن افـترائـهِ مـذمَّـةً وإثمًا

عبَّر بـ (أفعل) التَّفضيل ﴿أَظْلَمُ﴾، للدَّلالة على مدى جسامةِ ظلم هؤلاءِ المفترين، ووصولهم إلى أعلى درجاتِ الظُّلم، وذلك بالافتراءِ على اللهِ تعالى في نسبةِ الولد والصّاحبة له سبحانه، والتَّكذيب بالآيات، وإنكار نبوَّة رسول الله ﷺ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أي: أكفر، قال الحسن: "فلا أحدَ أظلمُ مِمَّنِ افْتَرى، اختلق عَلَى اللهِ كَذِبًا، فأشرك به غيره، أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ يعني: القرآن"[1]، والمعنى: من أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلقَ على الله قول الباطل، أو جَحَد آياته[2]. والتَّعبيرُ في سياق الاستفهامِ باسم التَّفضيل دلالةٌ على التَّبشيع والتَّهويل، ممّا يضفي على الاستفهام هالةً من الرَّهبة بتصوُّر ما تَسِمُهُ به آياتُ الكتاب المبين بوصفه بأقبح الظُّلم إلى يوم الدّين.

دلالةُ اختيارِ (مَنْ) بدلًا من (الَّذِي) في قوله: ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾:

مـن قـالَ في الدِّين بالافتراءِ والـهـوى؛ فقد ضـلَّ السَّبيلَ وهوى

اختارَ التَّعبير بِـ (مَنْ) الموصوليَّة للدَّلالة على العموم، والمعنى: كلُّ مَن افترى أو قال على الله كذبًا، وليس المرادُ فردًا مُعَيَّنًا؛ فالمشركون، مثلًا: منَ الَّذين افتروا على الله كذبًا؛ لأنَّهم حلَّلوا، وحرَّموا بهواهم، وزعموا أنَّ الله تعالى أمرهم بذلك، كما أنَّ هناك غيرَهم ممَّن يدخل تحت هذه الآية[3].

دلالةُ اختيارِ الوصفِ بالظُّلمِ دون غيرهِ في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾:

لـفـظُ الـظُّـلـم أنسبُ وأشملُ؛ لأنَّ الـكـفـرَ والـشِّـركَ من أفرادِ الظُّلم

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالظُّلم؛ لأنَّ الظُّلم في الأصل وضعُ الشَّيءِ في غير موضعه، ومشركو مكَّة وضعوا الآياتِ الكونيَّةَ والشَّرعيَّة الَّتي كان ينبغي عليهم أن يستدلّوا بها على الوحدانيَّة لله ربِّ العالمين، بدلًا من نسبةِ الشِّرك إليه سبحانه، في غَيرِ مَوضِعِها.

(1) الثَّعلبيّ، الكشف والبيان: 4/141.
(2) مكيّ بن أبي طالب، الهداية: 3/1982.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/375.

وأيضًا لأنَّ الظُّلم يُطلق على مجاوزة الحقِّ، وهم قد جاوزوا الحقَّ في اتِّخاذ الشُّركاء من دون اللهِ، وجاوز أهلُ الكتاب الحقَّ في إنكار نبوَّته ﷺ، وفيه إشارةٌ إلى العموم؛ فيشمل الظُّلم بينَ الإنسانِ واللهِ تعالى، وأعظمه الكفر والشِّركُ والنِّفاق، وغَيْرُهُ مِن أفْرادِ الظُّلْم. والَّذين افتروا على الله كذبًا، وكذَّبوا بآياته، جمعوا بين هذه الصِّفات، وبذلك يكون اختيارُ لفظ الظُّلم هو الأنسبُ؛ لأنَّ لفظَ الكفرِ أو الشِّرك، لا يؤدّي هذا المعنى؛ لأنَّهما من أفراد الظُّلم.

دلالةُ (مَنْ) الموصوليَّة وصِلَتِها في قوله: ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾:

نكتةُ هذا التَّعريف - واللهُ أعلم - التَّنصيصُ على اتِّصافهم بما في حيِّز الصِّلة من وصف، والإشعارُ بعلَّة الحكم أو وجه بناءِ الخبرِ؛ لأنَّ مَن ثبت له مضمونُ تلك الصِّلة، كان حقيقًا بأن لا أحدَ أظلمُ منه[1]، وقد جاءت أداة الموصول (مَن) وجملةُ الصِّلة ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، في سياق الاستفهام الَّذي وردَ للتَّوقيف والتَّقرير، وكان المعنى: "لا أحدَ أظلمُ ممَّن افترى، وافْتَرى معناهُ: اختلق، والمكذِّب بالآيات مفتري كَذِبٍ، ولكنَّهما مَنْحَيان من الكفرِ، فلذلك نُصّا مُفسَّرَين"[2].

التَّحذيرُ مِن ظلمِ الافتراءِ وفحواه مخافَةَ سوءِ عقباه

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ (افتراء) دون غيرِهِ من المرادفات القريبةِ الدَّلالةِ:

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالافتراءِ؛ لأنَّه كذبٌ مزيَّن مبالَغٌ فيه؛ فظهر في ثوب جميلٍ؛ لأنَّ أصله منَ الافتراء، ومنه لَبِسَ الفِراءَ بقصد التَّجمُّل، وعلى ذلك؛ فالافتراءُ في الكذب يدور حول الإجادةِ في التَّلفيقِ، وإلْباسِ الباطلِ ثوبَ الحقِّ، وهذا ما برع فيه اليهودُ في افتراءاتهم على اللهِ تعالى، حتَّى قال القرآن في حقِّهم: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ۝﴾ [النّساء: 50]، فَسُمّيَ كذبُهم: افتراءً؛ لأنَّه ليس كذِبًا معتادًا، بل تقوَّلوا على اللهِ، وبدَّلوا،

الافتراءُ الإجادةُ في التَّلفيقِ، وإلباسُ الباطلِ ثوبَ الحقِّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/202، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.

(2) ابن عطية الأندلسّي، المحرّر الوجيز: 2/277.

وحرَّفوا كتابهم، ومن ذلك تحريفُ البشاراتِ الواردة في شأن نبوَّة نبيِّنا ﷺ.

دلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ في قوله: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور من باب التَّشنيعِ على افترائِهم، وأنَّه ما كان ينبغي لهم أن يفتروا على الله؛ لأنَّه لا يغيب عن علمِهِ شيءٌ؛ فلو جازَ لهم أن يفتروا على النّاس، ويجمِّلوا كذبَهم، ما كان لهم أن يفعلوا ذلك مع اللهِ، وذلك لِعِظَمِ ما يفعلون، وقدرةِ المُتَطاوَلِ عليه بالإفك، أن يَقْصِمَ ظهورهم، ويُصيبَهم بعذابٍ، من حيثُ لا يحتسبون.

مَنْ تطاوَلَ على اللهِ بما افتراهُ سَحَقَتْهُ قدرةُ الله

تقديمُ الافتراءِ على الكذبِ:

في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: قُدِّم الافتراءُ؛ لأنَّه الكذبُ المتعمَّدُ، وقولهُ: ﴿كَذِبًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ له، وهو أعمُّ منَ الافتراء، والتَّأكيد يحصل بالأعمِّ، وقد ذكرتِ الآيةُ الكريمة نوعين للكفر: افتراءَ الكذب على الله تعالى، ثمَّ التَّكذيبَ بآيات الله تعالى، وقُدِّم النَّوعُ الأوَّل على الثّاني لشناعةِ الأوَّل؛ ولأنَّه أَقْبَحُ منَ التَّكذيب بآياتِ الله، وفيه تعمُّدٌ لارتكاب هذا الإثم، واختلاقِ أمورٍ يَنْسِبُها المفتري إلى الله، وهو يعلم يقينًا أنَّه كاذبٌ فيها. وكثيرًا ما يجتمع هذان النَّوعان في كافرٍ واحد، مثل: افتراء أهل الكتاب الكذبَ على الله كادِّعائهم الصّاحبةَ والولدَ لله سبحانه، ثمَّ تكذيبهم بالقرآن رسالة خاتم النَّبيّين ﷺ.

جناسُ الاشتقاقِ؛ وإفادتهُ قباحةَ الكذبِ ودناءتَهُ

أضف إلى ذلك أنَّ السّياق تضمَّن جِناسَ اشتقاقٍ بين ﴿كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ﴾؛ ليفيدَ قباحةَ الكذبِ ودُنوَّهُ.

دلالةُ ﴿أَوْ﴾ في قولهِ تعالى: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾:

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بـ ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾؛ لإفادةِ الجمع بين الكذب والافتراءِ، ولذلك وصَفَهم ربُّنا بالظّالمين؛ لأنَّهم جمعوا بين أمرين متناقضين: فَكَذَبوا على الله

كلُّ لونٍ من الكذبِ والتَّكذيبِ، هو غايةُ الإفراطِ في الظُّلم

تعالى بما لاحُجَّةَ فيه، وكذَّبوا بما ثبتَ بالحُجَّة البيِّنة والبرهان الصَّحيح[1]. وممّا تدلُّ عليه ﴿أَوۡ﴾: أنَّهم جمعوا بين الافتراءِ والكذبِ، وفيه تنبيهٌ على أنَّ كلًّا منهما وحده بالغٌ غايةَ الإفراطِ في الظُّلم على النَّفْس[2].

دلالةُ التَّضعيفِ في قولهِ تعالى: ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾:

آثرَ القرآنُ الكريمُ الفعلَ (كذَّب)، مُضَعَّفًا دونَ: كَذَبَ، مع اشتراكهما في أصل التَّكذيبِ؛ لأنَّ كذَّب كلمةٌ تقتضي أنَّه بذل جهدًا في تكذيب آياتِ اللّه، وذلك بمحاولةِ طمسِ معانيها، وإبطالِ دلالتِها، وإلقاءِ الشُّبهِ عليها، وفيه إشارةٌ إلى إعلانِ عداوتهِ للّه ولرسولهِ، حيث انتقلَ منَ الكذبِ إلى التَّكذيبِ. وهو بالتَّضعيف: "تكذيبٌ لآيات اللّه، بتأويلِها تأويلًا فاسدًا، وحَمْلِها على مفاهيمَ منكرةٍ، تَحْجُب وجْهَ الحقِّ فيما في كتابهم من دلائلَ، تدلُّ على النَّبيِّ، وتحدِّد صفَتَهُ، وصفةَ رسالتِهِ"[3].

مـن جـمـعَ بـيـنَ الـكـذبِ والتَّكْذيبِ، فقد أعلنَ عداوتَه للهِ ولرسولهِ

دلالةُ دخولِ حرف الجرِّ على قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾:

أفاد دخولُ (الباء) تلبُّسَه بالكذبِ، وكأنَّهُ لبسَ ثوبَ الكذبِ؛ فلا ينفكُّ عنه؛ فكلَّما وجدَ آيةً من آيات اللّه تصدَّى لتكذيبها، وتكذيبِ مَن يؤمن بها، "ومن افترى على اللّه كَذِبًا، أو كذَّبَ بآياتِه يكون أظلمَ الظّالمين، ولا يفلحُ الظّالمون يومَ الحساب بالنَّجاة من عذابِ اللّه في النّارِ، ولا يفوزون بنعيمِ اللّهِ في الجنَّة"[4].

مـن تـلـبَّـسَ بـالـكـذبِ؛ استهانَ بالجُرأةِ على آيات اللهِ، فَهَلَكَ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ دون القرآن، في قوله: ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾:

آثَرَ التَّعبيرُ القرآنيُّ لفظَ ﴿بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾؛ لأنَّها أعمُّ؛ فتشمل الآياتِ الكونيَّةَ والآياتِ القرآنيَّةَ، وفي ذلك إشارةٌ إلى تكذيبهِ للدَّليل

الـتَّـكـذيـبُ بالآيات الكونيَّة أوِ الـقـرآنـيَّـة، كلاهما تطاولٌ وضلالٌ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2467.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/49.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنّي للقرآن: 4/147.
(4) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 811.

النَّقليِّ والعقليِّ، ويلاحَظ أنَّ المشركين جمعوا بين الكذبِ على الله، والتَّكذيبِ بآياتِ الله، الدّالَّةِ على التَّوحيدِ، وعلى إثبات رسالةِ النَّبيِّ محمَّد (1) ﷺ.

دلالةُ تعريفِ كلمةِ (آيات) بالإضافةِ في قوله: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾:

وجوبُ التَّصديقِ بكلِّ آياتِ اللهِ المعجزةِ من مطلوباتِ الدِّين المتينِ

أُضيفتِ الآياتُ إلى الضَّمير العائد إلى اسم الجلالة (الله)، تعظيمًا لها، وتهويلًا للتَّكذيب بها، وتنبيهًا على أنَّ تكذيبَ أيِّ آيةٍ من آيات الله تعالى، كافٍ في الأظلميَّة... فما الظَّنُّ بتكذيبِ القرآنِ المنطوي على الكلِّ؟! وفي هذا زيادةُ إنكارٍ أن يكونَ أحدٌ أظلمَ ممَّن فعل ذلك(2). وفيه إشارةٌ إلى وجوبِ التَّصديق بكلِّ آياتِ الله؛ فمَن آمن ببعضِها، وكفرَ ببعضها؛ فقد كفرَ بالجميع.

دلالةُ فاصلةِ الآيةِ في قولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

لا فلاحَ للظَّالمين في الدُّنيا، ولا فوزَ لهم في الآخرة

دلَّت هذه الفاصلةُ على بشارةٍ للمظلومين الَّذين ظُلِموا من أعدائِهم بالاستهزاءِ بدينهم وبقرآنهم؛ فكلُّ مَن تُعدّيَ عليه في دينِه أو مالِه أو عرضِه؛ لَنْ يَنالَ ظالِمُهُ الفَلاحَ، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، والحقيقةُ أنَّه "ليس أحدٌ أشدَّ ظلمًا لنفسه وللحقِّ ممَّن افترى على الله الكذب، وادَّعى أنَّ له ولدًا أو شريكًا، أو نسبَ إليه ما لايليق، أو أنكر أدلَّتَه الدّالةَ على وحدانيَّته وصِدْقِ رسلِه، وعلى قدرِ عِظَمِ الجَريرَة، كانت النَّتائج الأولى والأخيرة، حيثُ إنَّ الظّالمين لا ينالون فوزًا بخير في الدُّنيا ولا في الآخرة"(3).

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّةِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

تأكيدُ نفيِ الفلاحِ عنِ الظَّالمِ من خلالِ الآيةِ الكريمة

خُتمتِ الآية بهذه الجملةِ الاسميَّةِ الَّتي تفيد الثُّبوتَ والدَّوامَ في نفيِ الفلاحِ عنِ الظّالمين، والمعنى: "لا أحدَ أشدُّ ظُلمًا من أولئك

(1) وهبة الزّحيلّي، التّفسير المنير: 7/164.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/202.
(3) إبراهيم الأبياريّ، الموسوعة القرآنيّة: 9/422.

المشركين الَّذين كذَّبوا باللّه وملائكته وكُتبه ورسلِه واليومِ الآخر، وإنَّ هؤلاءِ الَّذين سقطوا في أقصى دَرَكاتِ الكذبِ لن يفوزوا، ولن يفلحوا"[1]، وذلك أشبهُ بالقانون الكونيِّ الَّذي يطال الظَّلمَةَ المفترين على اللّه كذبًا، والمكذِّبين بآياتِه.

دلالةُ التَّأكيدِ بالأداةِ: (إنَّ) في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

إنَّ الله تعالى، يمهلُ الظَّالم، حتَّى إذا أخذهُ لم يُفلِتْهُ

أُتي بـ (إنَّ) الَّتي تفيدُ التَّأكيدَ؛ لدفع توهُّم في واقع النّاس من فلاحِ بعض الظّالمين؛ فجاء التَّأكيد ليدفع هذا الوهم، وليشير إلى أنَّ ما يراه النّاس من دعوى الفلاحِ لبعض الظّالمين في بعض الأوقات، هو فلاحٌ مقيَّدٌ؛ يفلح في زمن معيَّنٍ أو مكان معيَّنٍ أو قضيَّةٍ معيَّنةٍ، وهذا لا يعني فلاحًا، بل هو إمهالٌ، يُعطى للظّالم حتَّى يغترَّ بما هو فيه، فيتمادى في ظلمِه، ثمَّ يأخذُه اللّه أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ.

دلالةُ مجيءِ الخبرِ جملةً فعليَّةً في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

من طالهُ عذابُ اللهِ، تجدَّدَ له الألمُ والحِرمانُ، كلَّما عصى الرَّحمنَ

جاء الخبرُ جملةً فعليَّة منفيَّة في قوله: ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ ليفيد التَّجدُّدَ والاستمرار، كلَّما كذَّبوا أو افتروا، وقد نفى فلاحَهم، فَعَمَّ كلَّ فلاحٍ في الدُّنيا والآخرة، فإنَّ الفلاحَ المعتدَّ به في نظر الدّين في الدُّنيا هو الإيمانُ والعمل، وهو سبب فلاحِ الآخرة[2]. والمعنى المستفادُ من السّياق أنَّه: "لا يَسْعَد مَنْ جحدَ ربوبيَّةَ ربِّه، وكذَّب رسلَه، وهم الَّذين ظلموا أنفسَهم بإهلاكها بالعذابِ"[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بوضعِ الظَّاهرِ موضعَ الضَّميرِ في قوله: ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

ردُّ العَجُزِ على الصَّدْرِ، وأهميَّتُه في رسوخِ المعنى وجمالِه

وضَعَ الظّاهرَ موضعَ الضَّميرِ، والقياس أن يُقال: (إنَّهم لا يُفلحون)، ولو ذَكر الظّاهرَ؛ لقيل: (لا يفلحُ المفترون)، "لكن صرَّحَ بالظُّلمِ تنبيهًا على أنَّ علَّة عدمِ الفلاح هي الظُّلمُ"[4]، وفيه ردُّ العَجُزِ

(1) طنطاويّ، التفسير الوسيط: 5/55.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/172.
(3) الواحديّ، الوجيز، ص: 348.
(4) الزّركشّي، البرهان: 2/493.

على الصَّدْرِ، حيث وافقتْ كلمةُ (الظّالمون) - وهي آخر كلمة في الكلامِ - كلمةَ (أظلم) في صدْرِه.

دلالةُ التَّعبيرِ بنفي الفلاحِ دونَ غيرِهِ في قوله: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

الفلاحُ في الدُّنيا غفرانٌ، وعدمُه في الآخرة حرمانٌ

آثرَ التَّعبيرُ القرآنيُّ نفيَ الفلاحِ دونَ غيرِه، كالفوز؛ لأنَّ الفلاحَ هو عبارةٌ عن حصول الخيرِ والنَّفعِ في الدُّنيا والآخرةِ، والظّالم لمّا أعرضَ عن آياتِ اللّهِ من أجل منافعَ شخصيَّةٍ في دنياه، دون نظرٍ إلى أُخراه، عاقبَهُ اللّه بهذا الحرمانِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ما أصابه بما قدَّمت يداهُ.

سرُّ التَّعبير بلفظِ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ دون (الأظلمون):

الـظّـالـمُ يـترك سيِّئَ الأثرِ، وهو وخيمُ العُقبى قَلَّ أو كَثُرَ

أتى التَّعبيرُ القرآنيُّ في الآية بلفظ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ولم يأتِ بـ (الأظلمون)، جريًا على الظّاهر، والدّاعي البلاغيُّ للعدول عنِ الأظلميَّة إلى الظّالميَّة: أنَّه لو قيل: لا يفلح الأظلمون؛ لكان مفهوم هذه العبارةِ أنَّ (الظّالمين) الأقلَّ ظلمًا منَ الأظلميَّة قد يفلحون، وتأكَّد من باب أَوْلى خسرانُ الأظلمين؛ لأنَّ قليلًا منَ الظُّلم، صار سببًا في الخُسران، فما بالُكَ بكثيرِ الظُّلم؟ إنَّه أتعسُ حالًا من قليل الظُّلم[1].

التَّشابهُ بين آيتي الأنعامِ ويونسَ في: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾:

أوّلًا: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: 17].

التَّشابهُ بين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، و﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾:

والجوابُ عنه أن يُقال: إنَّ ما تقدَّم الآيةَ الأولى من قوله: ﴿قُلْ أَىُّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/172، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/295.

شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ جُمَلٌ عُطِفَ صدورُ بعضِها على بعضٍ بالواو، ولم تتعلَّق الثّانية بالأولى تعلُّقَ ما هو من سببها، فأجرى قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ مجراها، وعطف بالواو عليها. وأمّا الآية الثّانيةُ؛ فإنَّ ما قبلها عُطِفَ بَعْضُها على بعضٍ بالفاء، فتعلَّق كلُّ ما بعد الفاء بما قبله تعلُّقَ المسبَّب بسببه؛ فعُطف بعضُ هذا الكلام على بعضٍ بالفاء. وفي الأعراف أيضًا: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ بالفاء، فالجوابُ عنه مثل ما مضى.

اختصاصُ خَتْمِ الأولى بقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، والثّانيةِ بقوله: ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾:

والجواب عنهُ أنَّه لمّا قال في الآية الأولى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، وكان المعنى: أنَّه لا أحدَ أظلمُ لنفسهِ ممَّن وصفَ الله تعالى بخلاف وصفه، فأوردها العذابَ الدّائم، كان قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ﴾ عائدًا إلى مَن فعلَ هذا الفعلَ، فبناء الآخر على الأوَّل اقتضى أن يكون: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. وأمّا الآية الثّانيةُ في سورة يونسَ وتعقيبُها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، دون قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وإن كان الوصفان لفريقٍ واحد؛ فلأنَّها تقدَّمَتْها الآية الَّتي تضمَّنتْ وصْفَ هؤلاء القوم بما عاقبهم به، فقال: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾ [يونس: 13]، فوصفَهم بأنَّهم مجرمون عند تعليقِ الجزاء بهم[1].

تَوَهُّمُ التَّعارُضِ بَيْنَ ظاهِرِ هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ وغَيْرِهِما:

وممّا يُذكر في هذا السّياق فيما قد يُتَوَهَّمُ من ظاهره التَّعارضُ بين هاتين الآيتين وغيرِهما في مثل هذا الأسلوب، يُقال: لا تعارضَ بين هذه الآياتِ؛ فجميعُ هذه الأشياءِ المذكورة في الآيات اشتركت في المرتبةِ العليا في الظُّلم؛ فكلُّها في مقامِ الأَظْلَميَّة؛ لأنَّ أفعلَ التَّفضيل لا يمنع التَّساوي، ولكن يمنعُ الزّيادة، وعلى هذا؛ فهؤلاءِ المذكورون في مثل هذا الأسلوب القرآنيِّ لا يوجد أحدٌ أظلمُ منهم؛ فهم متساوون في مرتبة الظُّلم. وممّا يُقال أيضًا: إنَّ هذه المواضع تُخَصَّص بِصلاتها، ومعناه: أنَّ كلَّ موضعٍ من هذه الآيات يفصلُ بصلةِ موصوله؛ فكلُّ واحدةٍ منهم تختصُّ ببابها، ويكون المعنى: لا أحدَ أظلمُ ممَّنِ افترى على الله كذبًا، ولا أحد منَ المانعين أظلمُ ممَّن منعَ مساجدَ الله[2].

(1) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 2/498 - 502، والكرمانيّ، البرهان، ص: 106، وابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/149 - 151.
(2) الزّركشيّ، البرهان: 4/74.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الظُّلم) و(الجَوْر):

الظُّلمُ نقصانٌ في الحقوقِ، والجورُ حيفٌ وتسلُّطٌ وعقوقٌ

أصلُ الظُّلمِ نقصانُ الحقِّ، والجَور: العدول عنِ الحقِّ، وخُلْفٌ بين النَّقيضين، فقيل في نقيض الظُّلم: الإنْصاف، وهو إعطاء الحقِّ على التَّمام، وفي نقيض الجَورِ: العدل، وهو العدول بالفعلِ إلى الحقِّ[1]، وقد "جمع لأعدائهِ المعرضين عن منهجهِ عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة، لا ظُلْمًا منه، فهو سبحانه مُنَزَّهٌ عن الظُّلم والجَوْر، بل عَدْلًا وقِسطًا بما نَسوا آياتِ اللّه، وانصرفوا عنها"[2].

(الافتراء) و(الكذب):

الكذبُ: مخالفةُ الخبرِ للواقعِ أو الاعتقادِ، وهو أيضًا اسمٌ موضوعٌ للخبرِ الَّذي لا مخبرَ لهُ على ما هو به، سواءٌ كان الكذبُ فاحشَ القبحِ، أم غير فاحش القبح، والافتراء: كذبٌ مبالغ فيه، قد أُعدَّ إعدادًا متقنًا، فظهر في ثوبٍ جميلٍ، وهو مأخوذٌ من لبس الفراءِ بقصد التَّجمُّل، وفرَّق العَسْكَريُّ بين الكذبِ والافتراءِ، بأنَّ الكذب هو عدمُ مطابقة الخبرِ للواقعِ، أو الاعتقاد المُخبر له على خلافٍ في ذلك، والافتراء أخصُّ منه؛ لأنَّه الكذبُ في حقِّ الآخرِ بما لا يُرضيه، بخلاف الكذب، فإنَّه قد يكون في حقِّ المتكلِّم نفسِه، وأيضًا قد يحسن الكذبُ على بعضِ الوجوه، كالكذبِ في الحربِ، وإصلاحِ ذات البين، بخلاف الافتراءِ[3].

الكذبُ: ما خالفَ الواقعَ والاعتقادَ، والافتراءُ: اختلاقُ ما يؤذي

(الظَّفر) و(الفوز) و(الفلاح):

الظَّفَرُ: هو العلوُّ على المُناوِئ المُنازِع، وقد يُستعملُ في موضع الفَوزِ، ولا يُستعمل الفوزُ في موضع الظَّفَر، والفلاحُ: نيلُ الخير،

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 172 - 341 - 342.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي (الخواطر): 14/8391.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 224.

والنَّفع الباقي أثرُه، ويُقال أيضًا لكلِّ مَن عَقل، وحزمَ، وتكاملت فيه خِلالُ الخيرِ: قد أفلح[1]. قال صاحبُ المنار: "الظَّفرُ مقرونٌ بالصَّبر، وبالظَّفر حفظُ الحقِّ الَّذي يناضلُ من يجاهد في سبيلِ اللّه دونَهُ، ويدافعُ عنه، ويحاولُ إظهاره، ويبغي انتشاره، وهذا هو المأمورُ من اللّه تعالى بالصَّبر حين البأسِ"[2].

الظَّفَرُ: يُستَعمل في الفَوز، والفلاحُ: خيرٌ يرقى، ونفعٌ يبقى

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 340 - 321.
(2) رضا، تفسير المنار: 2/98.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»